كتـــــاب:

أعـــلام مـــالقـــــة

تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغبي

تقديم وعرض: الأستاذ محمد القاضي ـ المغرب

مدخـل:

استأثرت الأندلس باهتمام كثير من الباحثين والمهتمين في المشرق والمغرب، فقد انكبوا على دراسة تاريخ هذه المنطقة في حقبتها الإسلامية الزاهرة: تاريخاً وحضارة وأعلاماً وفكراً. وجسد هذا التراث منبعاً فكرياً مهماً للعديد من الدارسين والباحثين في العالم العربي والغربي، فغاصوا بين ثناياه منقبين وباحثين ومحققين، فنفضوا عنه غبار النسيان والإهمال وأخرجوه من مكتبات أوربا والعالم العربي.

والدكتور عبد الله المرابط الترغي واحد من هؤلاء الذين استهواهم هذا التراث، فأنجز وحقق العديد من النصوص، ويُعتد به في ميدان التحقيق وتراجم الأعلام في المغرب. وقد حظيت بعض أعماله المنجزة في السنوات الأخيرة باهتمام كبير من طرف الباحثين والمتخصصين في التراث المغربي والأندلسي داخل المغرب وخارجه، وخصوصاً كتابه القيّم: (فهارس علماء المغرب ـ منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري / منشورات كلية الآداب بتطوان سنة ١٩٩٩م. وكتاب «أعلام مالقة» لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس / تقديم وتخريج وتعليق / منشورات دار الغرب الإسلامي ودار الأمان سنة ١٩٩٩م.

يرى الدكتور الترغي أن التراث التاريخي والأدبي بالأندلس لم تكن العناية بنشره قائمة على مستوى واحد. فهناك العديد من كتب هذا التراث تقادم نشره، باعتبار ما تم العثور عليه بعد من نسخ أخرى، لها وزنها في ترجيح النص الأصلي وتوثيقه، وباعتبار ما تم نشره والتعريف به من نصوص مساعدة تجري في نفس السياق. وهناك الكثير من هذا التراث كان نشره بالصفة التي وصل بها إلى يد القارىء يحتاج إلى إعادة نظر، ومزيد ضبط وتحقيق. ومعنى هذا أن هناك آمالاً متجددة لقراءة تقويمية يحتاج إليها

نص هذا التراث[١].

«أعلام مالقة»: ولادة بعد مخاض عسير

قام الدكتور عبد الله المرابط الترغي بتخريج وتعليق وضبط وتقديم كتاب «أعلام مالقة» المسمى «صلة الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام، من أهل مالقة الكرام» أو «مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار» تأليف أبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس.

والكتاب هو عمل مشترك بين ابن عسكر وحفيده ابن خميس[٢]، والمعروف أن الأول وافته المنية (توفي ٦٣٦هـ) قبل أن يكمل تأليفه، وتممه الثاني وهو ابن أخته. والكتاب في أصله ذيل على كتاب أصبغ بن أبي العباس المسمى بالإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام.

«واشتهار الكتاب في وضعه الأخير ونسبته إلى ابن خميس هو الذي جرى به الذكر عند المؤرخين والأدباء في المشرق. ويبدو أن الكتاب قد استوى بصورته النهائية كما أرادها له أبو بكر بن خميس؛ حين وضع له هيكله من ترتيب للتراجم على حروف المعجم، وصياغة مقدمة للكتاب؛ ومن حسن الحظ أن يفيدنا الشمس السخاوي بذلك، وهو الذي اطلع على نسخة من تاريخ مالقة لابن خميس...»[٣].

ولخص ابن خميس محتوى كتابه في قوله: «وجمع في هذا الكتاب من سكن مالقة ودخلها أو اجتاز عليها، وجملاً من أخبارهم وأدبهم ومحاسنهم ومراسلاتهم وبلاغتهم، وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس وغيرهم»[٤].

ويظهر من خلال المقدمة المهمة التي كتبها المحقق للكتاب: أنه نفيس طالما تشوق إليه الباحثون في التراث العربي، فهو يتعلق بتراجم أعلام حاضرة أندلسية، هي مالقة، كان له دور مهم في بناء الحضارة والثقافة في دولة الإسلام بالأندلس. وهو بموضوعه هذا يمثل أحد كتب التراجم البلدانية الأندلسية التي نجت من التلف... وجاء ليسد ثغرة كبيرة في تاريخ وأدب هذا الأندلس في التراث العربي، لأنه اختص بما

---

(١) الصواب: ابنُ أخته.

(٢) انظر دراسته في مجلة كلية الآداب بتطوان/ سلسلة ندوات رقم ٤/١٩٩١م ص ٦٠ (كتب تراجم الرجال بالأندلس: نظرات في الضبط والتحقيق).

(٣) انظر مقدمة الكتاب ص ٤٥ و٤٦.

(٤) الصفحة الأولى من المخطوط / ص ٧٣ من الكتاب المحقق/.

أنتجه رجال مالقة من علم وأدب، وما ساهموا به من جهتهم في تجلية الصورة الثقافية العامة والخاصة في الأندلس، فانفرد بالعديد من هذه التراجم والعديد من النصوص الأدبية ما بين قطعة شعرية مطولة ومقطوعة ومقطعة، ونصوص نثرية مهمة وكثيرة.

واشتمل الكتاب على ١٧٤ ترجمة (علماً) و٤٨٨ نص شعري[١]. والتراجم مرتبة على حروف المعجم على الطريقة المغربية، أما طريقة كتابة هذه التراجم: أن يذكر أولاً الاسم كاملاً، ويذكر الكنية لاعتناء المغاربة بها، ثم ينبه على بلده، أي يصرح بأنه من أهل مالقة إن كان منهم، وإلا فيذكر البلد الذي جاء منه، وإذا كان يجهله يقول مثلاً: ورد علينا، أو عبارة أخرى تشعر بأنه ليس من أهل مالقة[٢]. ثم يذكر بعد ذلك أسماء شيوخه وتلاميذه ورحلاته ومؤلفاته وأهم الوظائف التي شغلها، ثم يذكر نماذج من شعره ونثره، ثم يختم الترجمة بذكر وفاة صاحبها.

والمترجمون قضاة وحفّاظ ونحاة وأدباء وقراء وأمراء طوائف وثوار متمردون على السلطان؛ كعمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي صاحب بُبَشْتَر سنة ٢٧٢هـ (ترجمة ١٤٣/ ص ٣٢٥).

أولهم محمد بن عَمْثيل العاملي الأديب وهو من أهل مالقة. وآخرهم يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى البلوي الفقيه الزاهد الورع المحدث الأوحد توفي سنة ٦٠٤هـ، وليس ٦٣٨هـ كما ذكرت الأستاذة فريدة الأنصاري في عرضها لكتاب (أدباء مالقة) تحقيق الدكتور صلاح جرار (الطبعة الأولى ١٩٩٩م) في مجلة (الذخائر) العدد الرابع ـ السنة الأولى ٢٠٠٠م، ص ٢٧٢.

أما أقدم ترجمة فهي لعبد الأعلى بن موسى بن نصير، ابن أول وال على الأندلس زمن فتحها (توجد ترجمته كذلك في الإحاطة لابن الخطيب، الجزء الثالث، ص ٥٢٩) وترجمته في الكتاب تحت رقم ١٠٢. وآخرها زمنياً هي ترجمة محمد بن عيسى بن مع

---

(١) هناك اختلاف في عدد الأعلام (التراجم) بين ما ذكره الدكتور عبد الله المرابط الترغي في تحقيقه وهي (١٧٤)، وبين ما ذكره الدكتور صلاح جرار في تحقيقه للكتاب نفسه والصادر في سنة ١٩٩٩م، وهي (١٧٣)، ترجمة (الذخائر / عدد ٤/ السنة الأولى/ ص ٢٧٢). وكان المرحوم محمد الفاسي قد ذكر في دراسة له عن المخطوط في مجلة المناهل المغربية، عدد ١٣، ١٩٧٨م، أنها (١٦٢) ترجمة / ص ١٢٧/.

(٢) سبق للدكتور عبد الله المرابط الترغي أن عرف بهذه المخطوطة في دراسة له بعنوان (سبتة من خلال كتاب أعلام مالقة) حيث أشار إلى عشرين ترجمة يثار معها ذكر مدينة سبتة، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد الخاص بندوة سبتة: التاريخ والتراث، العدد ٣، السنة الثالثة، ١٩٨٩م، ص ١٣٧.

النصر المومناني العالم المحدث؛ الذي قتل ذبحاً بمراكش. «ووصل مالقة خبر موته في أوائل ذي القعدة عام ثمانية وثلاثين وستمائة» ص ١٩٣/ وفي الذيل ٨/ ٣٥٢ أن وفاته كانت عام ٦٣٩هـ.

محاولات سابقة... ولكن دون جدوى

تعرض الكتاب (المخطوط) لمحاولات سابقة من طرف بعض المحققين والمهتمين بالدراسات الأندلسية في المغرب وخارجه، فقد استعصى عليهم إخراجه للوجود؛ نظراً لعراقيل كثيرة عددها المحقق في مقدمته، وهي أن الكتاب لم يصل إلينا إلا في نسخة مخطوطة يتيمة، كثيرة التصحيف والتحريف، فضلاً عن ذلك أن كاتبها لم يكن ممن يتقن عمل النسخ، فوقع في النص، «تحريف وتصحيف وداخَلَهُ الاسقاط والزيادة والتغيير. وهي موانع ظلت تحول دون تعميم الاستفادة من هذا النص والعمل على تحقيقه ونشره. ولطالما أوقفت هذه الموانع المحاولات الكثيرة التي قام بها العديد من الأساتذة في المغرب وغيره لتحقيق هذا النص وتخريجه»[١].

وما كان ليتم هذا التحقيق وبهذه الصورة لولا مجهود الذين سبقوا بالعمل فيه. «معترفاً هكذا بجميلهم ومبرهناً على أمانة عقلية أصبحت اليوم نادرة الوجود... نحن نعجب لتواضعه»[٢]، ثم بالصبر والمتابعة واستيفاء النظر والتأمل الطويل والإخلاص في العمل وخلق فرص نجاحه.

والكتاب (المخطوط) اكتشف أصله في إحدى مكتبات مكناس الخاصة في العقد السادس من القرن العشرين، وكان ملكاً للأستاذ المرحوم محمد العرائشي (توفي في رمضان ١٤٢١هـ) الذي قدمه لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة ١٩٧٠م التي تنظمها وزارة الشؤون الثقافية. واستنسخت منه مصورات عديدة أصبحت عند كثير من المهتمين بالتراث الأندلسي والمغربي في المشرق والمغرب، وفي العديد من المكتبات الخاصة والعامة، فاتسع الاطلاع عليها والاستفادة منها، إلا أنه لم يجرؤ عليه أحد للموانع السابقة الذكر.

ولعل أهم محاولة تلك التي قام بها المرحوم محمد المنوني (توفي ١٩٩٩م) ومحمد بن تاويت التطواني (توفي ١٩٩٣م) والدكتور محمود علي مكي سنة ١٩٥٧م،

---

(١) انظر المقدمة، ص ٨.

(٢) انظر ما كتبه الدكتور محمد اليعلاوي عن كتاب (أعلام مالقة) في مجلة (دراسات أندلسية) التونسية، عدد ٢٢، ١٩٩٩م، ص ١٠٣ و١٠٦.

ورغم جدية أصحابها واتساع علمهم في الموضوع، لم تنجح [محاولاتهم] في إخراج الكتاب محققاً. ولكنها كانت لهم اليد الطولى في اقتحام موانع هذا النص، ورسم معالم الطريق نحو إحيائه بالتخريج والتحقيق من طرف الدكتور عبد الله المرابط الترغي، فقد مكنه المرحوم محمد المنوني من نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة، تخص عمله وعمل الأستاذ ابن تاويت التطواني. «يزاحمها بياض في كثير من موادها، مما استعصى على القائمين على العمل فيها سابقاً أن يتخذوا منها عملاً لتحقيق الكتاب أو تخريج نصه... إلا أنني استفدت منها كثيراً في القراءة، واستعنت بها في كثير من الأحيان في ترجيح الصيغة الأصل، باعتبارها تمثل قراءة اجتهادية لعالمين يدين لهما التراث العربي في المغرب والأندلس بالفضل الكبير، لا سيما وقد خبرا المخطوطة المذكورة وعايشا موادها وخط ناسخها، وتأملا ما فيه الكفاية فيها»[(١)].

ثم محاولة الفقيه محمد بوخبزة الذي استخدج معها نسخة شبه تامة من النص الموجود من الكتاب. وهي نسخة في عمومها مقروءة قليلة البياض، مهرها بخطه المغربي المدموج. وتوجد منها مصورة على الشريط بالخزانة العامة بالرباط، كما توجد منها مصورات على الورق أخذت من الأصل المخطوط مباشرة، عند بعض المهتمين بالتراث العربي والأندلسي ممن لهم علاقة ما بالفقيه بوخبزة[(٢)].

وكان الفقيه بوخبزة أميناً في رسم الصورة التي تولدت معها هذه النسخة والتعريف بالأصول الخطية التي اعتمد عليها في النقل. ومما جاء في الصفحة الأخيرة من نسخته ما نصه: «انتهى ما وجد من هذا الكتاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات... وكان ابتداء نقله من مصورة الأخ الشريف السيد محمد إبراهيم الكتاني الفاسي المأخوذة عن ميكروفيلم محفوظ بالخزانة العامة برباط الفتح، عن النسخة الوحيدة المعروفة لهذا الجزء، المملوكة لأحد فضلاء مدينة مكناس، في نحو ١٣٨٠هـ. وتوقفت عن النسخ مراراً لرداءة الصورة وكثرة التحريف والتصحيف في الأصل، حتى أعارني الأخ الأستاذ عبد الله المرابط الترغي صورته من النسخة وأوراقاً بخطه، تمثل نحو ثلثي الكتاب عانى فيها إخراج نسخة تامة. فاستعنت بهما، وأتممت هذه النسخة على ما فيها في صيف عام ١٤٠٧هـ»[(٣)].

---

(١) انظر مقدمة الكتاب، ص ٤٨/٤٩.

(٢) ذكر الأستاذ عبد العزيز السوري أنه رأى نسخة مخرجة بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة، مجلة التاريخ العربي، عدد ١١، صيف ١٩٩٩، ص ١٥٢.

(٣) انظر مقدمة الكتاب، ص ٥٠/٥١.

وقد اطلع عليها المحقق وجعلها من النسخ المعتمدة في تحقيقه للكتاب، وأطلق عليها: نسخة الأصل الثاني.

وتتابعت المحاولات الأخرى في إخراج نص الكتاب. فقد قام بعض المستعربين الأسبان بمحاولة جريئة لاقتحام مواد هذا الأصل من الكتاب، لم يتمكن المحقق من الإطلاع على ما أنتجته هذه المحاولة، إلا أن مآلها كان كسابقاتها.

الأصول المعتمدة في التحقيق

اعتمد المحقق الدكتور عبد الله المرابط الترغي على النسخ الآتية:

١ ـ نسخة الأصل الأول:

وهي مصورة الأصل المخطوط من الكتاب، وتتكون في أصلها من ٢١٠ صفحة. في كل صفحة منها ٢٥ سطراً، كتبت بخطي مغربي فيه كثير من ملامح الخط الأندلسي، عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ لبتر آخرها. ويرجح أنها من نسخ القرن العاشر. وتشمل نسخة الأصل الأول مادة النصف الثاني من الكتاب فقط، فتبدأ تراجمها مع حرف الميم بذكر المحمدين لتستمر إلى تراجم حرف الياء. وبذلك يكون النصف الأول الضائع من الكتاب مشتملاً على كل التراجم التي تبتدىء أسماء أصحابها بحروف الهجاء الواقعة قبل الميم في ترتيب الألفباء المغربية. وتنتهي دون إتمام ترجمة أبي الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي، ليكون البتر الواقع في آخرها قد أخذ بقية هذه الترجمة وما يليها من التراجم المحتمل عرضها في تتمة حرف الياء.

ويتخلل هذه النسخة بتران اثنان:

الأول: في حرف العين. فما تكاد تنتهي ترجمة عامر بن معاوية اللخمي في آخر صفحة ١٠٦ من الأصل؛ حتى تنتقل الصفحة الموالية رقم ١٠٧ إلى عرض بقية ترجمة أبي محمد عبد الله الوحيدي المالقي، ليضيع مع هذا البتر بعض من تراجم حرف العين.

البتر الثاني: ويحدث في أثناء تراجم حرف السين عند نهاية الصفحة ١٩١ من الأصل إذ تنقطع ـ دون إتمام ـ ترجمة سليمان بن أبي غالب، لتنتقل في الصفحة الموالية رقم ١٩٢ إلى عرض بقية ترجمة سفر الذي ينسب إليه الرمان (فاكهة) السَّفري في الأندلس. فتضيع بذلك مع هذا البتر صفحة أو أكثر، لتغيب معه بقية ترجمة سليمان بن أبي غالب، وأول ترجمة سفر، وما يحتمل أن يكون بينهما من تراجم من اسمه سليمان وسعيد. وقد أخبر المحقق بوجود ورقة واحدة من أصل كتاب أعلام مالقة تخص حرف السين، كانت في مكتبة الأستاذ الحسن السائح، إلا أنه لم يتسن له

الوقوف عليها.

واعتمد الدكتور الترغي في نسخة هذا الأصل الأول على مجموعة مصورات له، منها مصورة الخزانة الحسنية بالرباط رقم ١٠٥٥ (تصوير شمسي)، ثم مصورة على الورق بآلة الاستنساخ مكبرة بضعف حجم صفحات الأصل تقريباً، أمده بها الكتبي المرحوم مصطفى ناجي، ونسخة مخطوطة كتبها وخرجها الفقيه محمد بوخبزة بخط يده وتتكون من ٢٢٢ صفحة، إضافة إلى ما سلمه المرحوم محمد المنوفي من نسخة الأصل الأول. وقد اعتمد في إثبات النص على الأصل الأول المخطوط ما دام النص فيه يجري على السلامة، وباتفاق مع بقية الأصول الأخرى.

فجاء الكتاب في ٤٣٢ صفحة اختصت المقدمة بسبعين صفحة، ثم ذيله بمجموعة من الفهارس وهي خمسين صفحة، بدأها بفهرس التراجم (التي وضع لأصحابها أرقاماً) وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس الكتب والرسائل الواردة في المتن، وفهرس القوافي، (وقد شكل الأبيات الشعرية والنصوص النثرية ليسهل قراءتها) وفهرس المصادر والمراجع (ما يقرب من مائة مصدر ومرجع من كتب الأدب والتراجم التي اهتمت بالتراث الأندلسي).

والحق إن ما بذله الدكتور عبد الله المرابط الترغي من مجهود كبير في إخراج هذا المصدر النفيس في حلته الجديدة، لا يملك القارىء إلا أن يقدر هذا العمل الجاد الذي أضافه به جديداً إلى الثقافة العربية والإسلامية، وقد عودنا دائماً على هذا، فمفاجآته وإنجازاته العلمية جعلتنا نتهافت عليها بحكم جديتها وجديدها. وفقه الله في خطواته القادمة.